بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه وسائر المسلمين ٠

وبعد ٠٠

فهذا الكتاب هو البحث الذى تقدمت به الى كلية الشريعة والعلوم الاجتماعية بجامعة أم درمان الاسلامية لنيل درجة الماجستير فى العلوم السياسية عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) ٠

١ ـ موضوع البحث :

موضوع البحث : « البيعة فى النظام السياسى الاسلامى وتطبيقاتها فى الحياة السياسية المعاصرة » ٠

٢ ـ أهمية موضوع البحث :

(١) ان موضوع البحث (البيعة) يعالج أهم القضايا التى تهم جميع المسلمين اليوم سواء أكانوا حكاما أو محكومين ، ويتوقف على البيعة الاستقرار السياسى والسلام الاجتماعى فى العالم الاسلامى المعاصر ، وبتطبيقها يمكن الحد من ظاهرة الانقلابات العسكرية والتمرد على السلطة السياسية وكذلك الحد من ظاهرة الاستبداد السياسى ٠

(٢) وفوق كل ذلك فان موضوع البيعة يقوم أساسا على مبدأ هام فى دين الاسلام الا وهو مبدأ الولاء لجماعة المسلمين والبيعة لامامهم والطاعة لأولى الأمر منهم ، وكذلك البراءة من حكم الجاهلية ونظامها ، قال رسول الله ﷺ : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية » (رواه مسلم) ٠

٣ ـ الأسباب والدوافع لاختيار هذا الموضوع :

(١) ان العلمـاء القدماء قد بحثوا عن موضوع البيعة فى فروع مختلفة من العلوم الشرعية الاسلامية وكان هـذا الموضوع متناثرا فى كتب التفسير والحديث والعقيدة والفقه والسياسة الشرعية والتاريخ ، فيحتاج الى من يجمع هذا الشتات ، فحاولنا ان نجمع ما تناثر منها فى هـذا البحث .

(٢) عـدم تطبيق البيعة بصورتها الكاملة منـذ سقوط الخلافة الاسلامية وغياب جماعة المسلمين فى عصرنا اليوم . وكان معظم الزعماء والرؤساء فى الدول القومية فى العالم الاسلامى يحكمون شعوبها بغير ما انزل الله ، وكان بعض المسـلمين لا يعلمـون بأن الولاء للأنظمـة غير اسـلامية يمثل نوعا من الكفـر والجاهليـة ، قال الله تعـالى : « **أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون** »(١).

(٣) حالة التفرق والتسيب التى يعيشها المسـلمون اليوم ، حيث لا يشعرون بانتمائهم الحقيقى للكيان الاسـلامى ولا يعرف أكثر المسـلمين اليوم « انه لا اسـلام الا بجماعة ولا جماعة الا بامارة ولا امارة الا بطاعة » وكان من المفروض على جميع المسـلمين فى سائر أنحاء العالم أن يعطوا ولاءهم الكامل للاسـلام ونظامه الاجتماعى والسياسى وأن يكونوا جميعا فى جماعة واحدة وأن يؤمروا أحدهم ويبايعوه اماما وخليفة يحكم بنظام الخلافة الاسـلامية .

٤ ـ أهداف البحث :

(١) التعرف على حقيقة البيعة فى الاسـلام بمفهومها الصـحيح وتطبيقها النموذجى وواقعهـا التاريخى الذى سبق على كل النظريات الافتراضية للعقد الاجتماعى فى الفكر السياسى الغربى .

(٢) التعرف على أهم مبادىء البيعة فى النظام السياسى الاسلامى اركانها وشروطها والتزاماتها ومسألة الخروج عليها .

---

(١) المـائدة : ٥٠

(٣) محاولة التوصل الى حل قضايا البيعة فى الحياة السياسية المعاصرة بتطبيق البيعة والتعاقد بين الحكام والمحكومين على الالتزام بنظام الاسلام حتى تكتسب شرعيتها وتنتظم الأمة فى ظلها ٠

(٤) البيان على ان البيعة العامة لا تتحقق الا للامام أو الخليفة فى حالة وجود نظام الخلافة الاسلامية فالبيعة اليوم ينبغى أن تكون تأكيدا للانتماء الى الاسلام والتزاما بالعمل مع جماعة تدعو وتجاهد لاقامة الاسلام واحياء نظام الخلافة الاسلامية فى العالم كله ٠

٥ ـ منهج البحث :

رأينا فى اختيارنا لمنهج البحث ـ فى ضوء طبيعته ـ حتى نصل الى الأفكار السليمة عن هذا الموضوع أن نتبع الأمور الآتية :

(١) الرجوع الى المصادر الاسلامية القديمة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة والرجوع الى أمهات الكتب الاسلامية القديمة فى أصول الدين والعقيدة والفقه والسيرة والتاريخ وكتب السياسة الشرعية وكذلك الاستعانة بالكتب والبحوث المعاصرة التى كتبها علماء وفلاسفة الاجتماع والقانون والسياسة ٠

(٢) استخراج الأفكار من هذه المصادر والكتب مع المقارنة بينها والموازنة بين الآراء المختلفة ومناقشتها واحكام الربط بينها والتعبير عنها بأسلوب سياسى معاصر مع الاحتفاظ باصطلاح شرعى واسلامى ٠

(٣) السعى للتوصل الى فكرة صحيحة عن موضوع البيعة داخل اطار السياسة الشرعية الاسلامية وليس فيها خروج عن مسلك جمهور علماء اهل السنة والجماعة ، وذلك بالاعتماد على قواعد الشريعة الاسلامية وأصولها ومناهجها المعروفة لتأصيل وتفسير هذا الموضوع مع الأخذ بالاعتبار أن النظام الاسلامى له أصالته بشخصيته المستقلة عن غيره من النظم الوضعية ، فهو نظام شامل ومتكامل ولا فصل بين السياسة والدين وانما السياسة جزء من الدين الاسلامى الذى يشمل كل أمور الحياة ٠

وقد استخدمنا المنهج التاريخى الاستقرائى فى « التمهيد » للتعرف على حقيقة البيعة التاريخية فى عهد النبوة والخلافة الراشدة وعلاقتها بنشأة الدولة واستمراريتها · وفى الباب الأول استخدمنا المنهج التحليلى والمنهج الاستنباطى الاسلامى الذى يستعمله علماء الفقه الاسلامى فى تقرير نظرية البيعة فى النظام السياسى الاسلامى ، وأما الباب الثانى فقد تطلب منا استخدام المنهج التاريخى والمنهج الاستنباطى والمنهج التحليلى معا ·

٦ ـ الاطار النظرى :

رأينا ان البحث فى موضوع « البيعة » يقتضى الانطلاق من داخل الاطار العام لدين الاسلام باعتباره نظاما عاما يشمل كل مظاهر الحياة والنظام السياسى فى الاسلام جزء لا ينفصل عنه ، فالبيعة جزء من النظام السياسى الاسلامى الذى يعرف بنظام الخلافة الاسلامية وهو نظام يقوم بأمور الدين وينظم الحياة السياسية طبقا لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وكانت دولة الخلافة استمرارية لدولة النبوة وكان المسلمون فى كل العصور يبايعون ويعاهدون على اقامة الخلافة واستمراريتها · وعن طريق البيعة الشرعية يتم انتماء المسلم الى المجتمع السياسى فى عصره وبها يتبين التميز السياسى بين الحاكم والمحكومين أو الامام والأمة أو الرعية والأمير أو المطيع والآمر ومنها تنبثق السلطة السياسية فى المجتمع الاسلامى ·

ان البيعة فى اطارها النظرى ذات علاقة مباشرة بنظام الخلافة الاسلامية وبوحدة جماعة المسلمين · لكن الواقع فى العالم الاسلامى اليوم لا توجد الخلافة الاسلامية فظهرت مشاكل سياسية وقضايا متعددة داخل المجتمع الاسلامى لا يمكن حلها الا باقامة نظام الخلافة من جديد وتوحيد الأمة فى جماعة المسلمين واجراء البيعة بطريقة صحيحة وفقا لأركانها وشروطها والالتزام بها من الحاكم والمحكوم على السواء · وبدونها يظل المسلمون يعيشون فى حالة التسيب والتفرق والخضوع تحت حكم الجاهلية بشكل أو آخر ·

٧ ـ الكتابات السابقة فى موضوع البيعة :

كان رواة الحديث يسجلون كثيرا من الأحاديث النبوية التى تتعلق بالبيعة للنبى ﷺ ولكن هـذه البيعة النبـوية تختلف عن البيعة التى يعنيها علماء العقيدة والفقـه والسياسة الشرعية فالبيعة عند العلمـاء المسلمين هى البيعة بالخلافة والامامة وهى التى تعنينا فى هـذا البحث ومن العلماء الأوائل الذين بحثوا فى موضوع البيعة أبو الحسن المـاوردى فى « الأحكام السلطانية » وابن تيمية فى « منهاج السنة النبوية » وفى « السياسة الشرعية » والبغدادى فى « أصول الدين » ، والامام الغزالى فى « احيـاء علوم الدين » وفى « فضائح الباطنية » . ومن العلمـاء المعاصرين فى السياسة الشرعية والقانون الدكتور صلاح الدين دبوس فى « الخليفة توليته وعزله » ، والدكتور محمد رافت عثمان فى « رئاسة الدولة فى الفقه الاسلامى » ، والدكتور فتحى عبد الكريم فى « الدولة والسيادة فى الفقه الاسلامى » ، والدكتور محمد عبد القادر أبو فارس فى « النظام السياسى فى الاسلام » وكل هؤلاء قد تناولوا البيعة فى ثنايا بحوثهم المرتبطة بالنظام السياسى الاسلامى ونظام الخلافة الاسلامية .

٨ ـ الفجوة المراد تغطيتها :

وكانت الكتابات السابقة لا تتمكن من تغطية مشاكل الحياة السياسية فى حالة فقدان نظام الخلافة الاسـلامية فى عصرنا لأنهم كانوا يقدمون حلولا تتناسب مع القضايا السياسية فى ظل وجود الخلافة وهم لا يتطرقون الى قضية البيعة فى حالة غيابها كما هى فى واقعنا اليوم . ونحاول تغطية هـذا النقص بتناول المحاولات التى سارت عليها بعض الجماعات الاسلامية المعاصرة فى تطبيق البيعة داخل تنظيمها ونسعى للوصول الى مفهوم جديد وعصرى للبيعة وبيان أهميتها فى حياة الفرد المسلم بالنسبة لايمانه وعقيدته ومواقفه السياسية وتوضيح دورها فى حياة المجتمع الاسلامى بالنسبة لتنظيم الأمور السياسية .

٩ ـ خطـة البحث :

يتألف هذا البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وبابين ، وخاتمة .. وتفاصيلها كالآتى :

المقـدمة : نتناول فيها قضية البحث ودوافع اختيار هذا العنوان والأهداف التى نتوخاها من هذه الدراسة ووصف موجز للمنهج واهميـة الموضوع والدراسات السابقة عليه .

التمهيد : نبين فيه تطور الدعوة الاسلامية فى عهد النبوة ومغزاها السياسى وحقيقة البيعة فى عهد النبوة والخلافة الراشدة وعلاقتها بنشأة الدولة الاسلامية واستمراريتها لعدة قرون . ونوضح **اهمية البيعة** فى حياتنا المعاصرة لاحياء الخلافة على منهاج النبوة .

الباب الأول : البيعة فى النظام السياسى الاسلامى .

الفصل الأول : مفهوم البيعة ومشروعيتها .

المبحث الأول : تعريف البيعة لغة واصطلاحا .

المبحث الثانى : مشروعية البيعة .

المبحث الثالث : طبيعة البيعة .

الفصل الثانى : اركان البيعة .

المبحث الأول : موضوع عقد البيعة « اقامة نظام الخلافة الاسلامية » .

المبحث الثانى : الطرف الأول لعقد البيعة « المرشح لمنصب الامامة » .

المبحث الثالث : الطرف الثانى لعقد البيعة « أهل الحل والعقـد وجماهير الأمة الاسلامية » .

الفصل الثالث : شروط صحة البيعة .

المبحث الأول : خلو منصب الامامة وعدم تعدد البيعات .

المبحث الثانى : توافر شروط الامامة فى المرشـح وعدم رفضـه للمنصب .

المبحث الثالث : اجراء العقد من أهل الحل والعقد وعدم الاكراه عليهم .

الفصل الرابع : البيعة والطريقة المثالية فى اختيار الامام .

المبحث الأول : اختيار أهل الحل والعقد وبيعة جماهير الأمة والأثر الشرعى المترتب عليها .

المبحث الثانى : البيعة طريقة مثالية وواقعية فى اختيار الامام .

الفصل الخامس : مسألة عزل الامام الخارج عن الشرعية بعد البيعة له .
المبحث الأول : مبدأ الشرعية الاسلامية وقيوده على السلطة السياسية .
المبحث الثانى : الجزاء السياسى على الامام الخارج عن الشرعية .
المبحث الثالث : مسألة المقاومة المسلحة لعزل الامام الطاغية .

الباب الثانى : تطبيقات البيعة فى الحياة السياسية المعاصرة :

الفصل الأول : الحياة السياسية المعاصرة فى العالم الاسلامى بعد سقوط الخلافة العثمانية .
المبحث الأول : سقوط الخلافة العثمانية اسبابه والاعلان به .
المبحث الثانى : بروز الدعوة القومية والعلمانية .
المبحث الثالث : قيام الدويلات الوطنية على أساس علمانى وقومى وجاهلى .

الفصل الثانى : البيعة ومواقف المسلمين من الحياة السياسية المعاصرة .
المبحث الأول : موقف الاسلام من الحكومات بصفة عامة .
المبحث الثانى : مواقف المسلمين من الحياة السياسية المعاصرة .

الفصل الثالث : أهمية لزوم جماعة المسلمين والبيعة للجماعات الاسلامية المعاصرة .
المبحث الأول : مفهوم الجماعة والفرقة الناجية .
المبحث الثانى : مواصفات جماعة المسلمين .
المبحث الثالث : وجوب لزوم جماعة المسلمين وضرورة العمل الجماعى .
المبحث الرابع : البيعة للجماعات الاسلامية المعاصرة .

الخاتمة : نبرز فيها اهم معالم البحث ونتائجها فى صورة مركزة .

المراجع : نرتبها حسب عناوين الكتب على حروف المعجم .

وهـذا ما اردت أن أبحث فى هـذا الموضوع ولا يسعنى الا أن أعترف بالفضل للعلماء القدماء الذين حفظوا وشرحوا كل ما يتعلق بهذا الموضوع فى كتبهم ـ فى التفسير والحديث والسيرة والعقيدة والفقه والسياسة الشرعية وكذلك الأساتذة الأجلاء والمفكرين ورواد الحركة الاسلامية المعاصرة . فهم الأصل واليهم يرجع الفضل فى ابراز وتوضيح جميع الجوانب التى تتعلق بهذا البحث . وما كان عملى الا جمع ما تفرق عن موضوع البيعة ثم اضافة بعض التعليقات والآراء .

والله أسأل أن يوفقنى فى هـذا البحث لما يحبه ويرضاه وأن يجعل عملى هذا خالصا لوجهه ، **«رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين»**(٢) ، **« ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين »**(٣) .

رملى كابى

« احمد صديق عبد الرحمن »

جامعة أم درمان الاسلامية :

١٣ رجب سنة ١٤٠٧ هـ

١٣ مارس سنة ١٩٨٧ م

* * *

(٢) الشعراء : ٨٣ (٣) البقرة : ٢٨٦

تمهيد

لقد أرسل الله خاتم الأنبياء والمرسلين محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق . وآتاه الكتاب والحكمة ليربى جيلا ، وينشىء أمة ، ويقيم دولة . وكانت هذه المهمة واضحة فى نفس النبى ﷺ وهو فى مكة لا يملك حولا ولا قوة . فأعلن محمد ﷺ رسالته الخالدة للعالم : « **يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا** »(١) ودعا الناس الى دين يجعلهم أعزاء مكرمين فى هذه الحياة ويجعلهم سعداء فائزين بالجنة فى الآخرة فقال : « يا أيها الناس ، قولوا لا اله الا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فاذا متم كنتم ملوكا فى الجنة »(٢) .

١ ـ الدعوة الاسلامية لها مغزى سياسى :

لقد كان العرب يعرفون جيدا المغزى السياسى للدعوة الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فقد أدرك الطواغيت زعماء الجاهلية والمستكبرون فى الأرض من أول يوم أثر هذه الدعوة على نفوذهم وسلطانهم . وهذه الدعوة تعنى أن ما يصدر عن الطواغيت من قوانين وتشريعات يشرعونها للناس ويحكمون الناس بها تعتبر باطلة من أساسها ، غير ملزمة لأحد من الناس بل على الناس أن يتمردوا عليها ، ويعملوا على محوها وازالتها(٣) .

---

(١) الأعراف : ١٥٨

(٢) الرحيق المختوم تاليف فضيلة الشيخ صفى الرحمن المبارك فورى ، الجامعة السلفية ـ الهند ـ **البحث الفائز بالجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية التى نظمتها رابطة العالم الاسلامى** ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بمكة الطبعة **الأولى** ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ص ١٤٠ ، وكذلك الطبقات الكبرى لابن سعد ، جـ ١ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢

(٣) النظام السياسى فى الاسلام للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس المدرس بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية دار القرآن الكريم بيروت . نشر الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ١٤٠٤ هـ (١٩٨٤ م) ص ٢٧ .

وهـذه الحقيقة قد ادركها كذلك عامة الناس وبسطاؤهم . « ولقد سمع العربى رسول الله ﷺ يدعو الناس الى شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله . فقال له : هـذا أمر تكرهه الملوك » وقال له رجل آخر من العرب بفطرته وسليقته «اذن تحاربك العرب والعجم»(٤) .

وكانت للدعوة الى شهادة أن لا اله الا الله جديتها فى حس هؤلاء العرب ، لأنهم يفهمون انها اعلان الحرب على الطواغيت الذين يحكمون بغير شرع الله عربا أم عجما . وانها تحرك الناس الى رد الحاكمية فى حياتهم لله سبحانه وتعالى « **ان الحكم الا لله ، أمر ألا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم** »(٥) .

ولما اخذت الدعوة الاسلامية تنتشر فى مكة ضاقت بها قريش فحبست من قدرت على حبسه وفتنت من استطاعت فتنته من المسلمين . ثم لما شعر رؤساء المجتمع الجاهلى خطورة الدعوة الاسلامية على نفوذهم السياسية ومراكزهم الاقتصادية واوضاعهم الاجتماعية حاولوا تحويل مسار الدعوة الاسلامية فعرضوا المال والشرف والملك والسيادة للرسول ﷺ على أن يتنازل عن دعوته او بعض مبادىء الدين . فرفض الرسول ﷺ بقوله : « ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا »(٦) .

وهـذا الرد النبوى لا يصح أن نفهم منه أن أمر السياسة والدولة والحكم ليس من اهداف الاسلام وانما الرسول ﷺ لا يقبل ان يكون رئيسا للدولة الجاهلية التى لا تعترف لله عز وجل بالحاكمية ولا تؤمن برسالته ، وذلك لأن مقومات الدولة الاسلامية فى ذلك الوقت لم تكن

---

(٤) طريق الدعوة فى ظلال القرآن ، جمع واعداد أحمد فائز مؤسسة الرسالة بيروت ، طبعة ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) جـ ٢ ص ١٠

(٥) يوسف : ٤٠

(٦) السيرة النبوية لابن هشام تعليق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل بيروت طبعة جديدة جـ ١ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ ، وكذلك حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوى دار القلم دمشق طبعة أولى ١٣٨٩ هـ (١٩٦٩ م) جـ ١ ص ١١٩ ـ ١٢٠

متوفرة ، وأن الدولة الاسلامية لا تقام الا فى ارض يكون أصحابها مؤمنين بدين الاسلام ومبادئه ومناهجه وشرائعه ومستعدين للدفاع عنه بأموالهم وأنفسهم .

ولقد أيقن الرسول ﷺ أن مكة تحت نفوذ رؤساء الجاهلية لا تصلح أن تكون الاقليم الأول للدولة الاسلامية ، ولذلك سعى جاهدا لايجاد أرض تكون موطنا للمسلمين ومحضنا للدعوة الاسلامية واقليما للدولة الاسلامية . فذهب رسول الله ﷺ الى الطائف يدعو أهلها الى الاسلام ويطلب نصرته . وفى مواسم الحج كان الرسول ﷺ يتصل بوفود القبائل يدعو الحجاج الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه وأن ينصروه وأن يجعلوا بلادهم دولة ودارآ للاسلام . فيأبون عليه(٧) .

* * *

٢ ـ البيعة النبوية ميثاق اسلامى اجتماعى وعقد سياسى :

لقد ظلت الدعوة الاسلامية حبيسة فى مكة سنون طويلة ، فلم يؤمن بها الا العدد القليل ووقفت العقبات فى طريقها من كل ناحية وأصبح المسلمون بين مفتونين فى دينهم أو معذبين فى أهلهم او مشردين عن ديارهم أو مقيمين على أحر من الجمر من شدة ما يلاقون من الاضطهاد(٨) .

وفى السنة الحادية عشر من البعثة بينما كان الرسول ﷺ عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا ، وبعد التعارف دعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن . فقال بعضهم لبعض : « ياقوم تعلموا والله أنه للنبى الذى توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه »(٩) فأجابوه وصدقوه وآمنوا به ووعدوه المقابلة فى الموسم المقبل .

---

(٧) انظر النظام السياسى فى الاسلام للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ص ١٣٣ ـ ١٣٤

(٨) صور من حياة الرسول للاستاذ امين دويدار ، دار المعارف بمصر طبعة ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) ص ٢٢٥

(٩) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٥٤ ـ ٥٥

وفى السنة الثانية عشر من البعثة جاء اثنا عشر رجلا من الخزرج والأوس فلقوا النبى ﷺ بالعقبة فبايعوه على الاسلام والالتزام بنظامه الاجتماعى والأخلاقى(١٠) ٠

وفى السنة الثالثة عشر من البعثة خرج من يثرب ثلاثة وسبعون من المسلمين قاصدين مكة وقد عزموا على ان يدعوا النبى ﷺ للهجرة الى يثرب٠ فاجتمع الرسول ﷺ بهؤلاء فى العقبة فبايعوه على ان لا يشركوا بالله وعلى طاعة رسوله فى معروف وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم أو على حد عبارة العباس بن عبادة للمبايعين « تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس »(١١) وكذلك التأكيد من رسول ﷺ بقوله « أنا منكم وانتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم »(١٢) وهـذا النص فى هـذه البيعة واضح فى اتجاه الرسول ﷺ الى العمل على دفع عدوان خصم الدين الاسلامى ولو بالحرب ٠

لقد كانت بيعة العقبـة الأولى عقـدا اجتماعيا وميثاقا للسـلوك الاسلامى ويتضمن فيها أهم معالم المجتمع الاسلامى ٠ وأما بيعة العقبة الثانية فهى عقد سياسى بين الأمة وقائدهم بمحض ارادة الطرفين وهى حدث حقيقى وقع فى التاريخ الاسـلامى وكانت هاتان البيعتان بمثابة التمهيد الاجتماعى والسياسى للهجرة الى المدينة وحجر الزاوية فى بناء الدولة الاسـلامية الأولى فى المدينة ٠

واخذ الرسول ﷺ بعة البيعة الثانية يحرض المؤمنين على الهجرة الى يثرب واللحوق الى اخوانهم من الأنصار فقال : « ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا وداراً تأمنون بها »(١٣) فخرجوا جماعات وأفرادا ٠

* * *

(١٠) روى البخارى عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تعالوا بايعونى على أن لا تشركوا بالله شـيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصونى فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله » ، انظر باب وفود الأنصار ٠

(١١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٦٦

(١٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٤

(١٣) نفس المصدر جـ ٢ ص ٨٠

٣ ـ نشأة الدولة الاسلامية الأولى فى المدينة :

تعرف الدولة فى العلوم السياسية بأنها مجموعة كبيرة من الناس تعيش على وجه الدوام على قطعة من الأرض ويقوم على تنظيم هـذه الجماعة وادارة شئونها فى الداخل والخارج فى السلم والحرب هيئة حاكمة . وبعبارة أخرى أن للدولة ثلاثة أركان هى : الشعب ، والاقليم ، والسلطة الحاكمة(١٤) .

وقد تم تكوين الدولة الاسلامية فى المدينة بعد أن تكاملت أركانها ، فالمسلمون من المهاجرين والأنصار هم الشعب لهذه الدولة ، وأرض المدينة التى استقر عليها المسلمون هى اقليمها . وأما السلطة الحاكمة فكانت بقيادة الرسول ﷺ .

فقد أصدر الرسول ﷺ صحيفة(١٥) بمثابة وثيقة دستورية تنظم فيها العلاقات بين مواطنى الدولة وتبين فيها الحقوق والواجبات وتضمن فيها حرية الاعتقاد . وكذلك اهتم الرسول ﷺ ببناء المؤسسات العامة وفى مقدمتها المسجد الذى يمثل مدرسة للتربية والتعليم ومحكمة للعدل ومركزا للاعلام ومجلسا للشورى يتشاور فيه المسلمون ويدرسون قضاياهم السياسية والاقتصـادية والاجتماعية . وكان الرسول ﷺ قد نظم القوة العسكرية الجهادية للدولة الاسلامية وهى الجيش الاسلامى المتحضر الذى استوعب قضـايا عصره . ونظم الأجهزة الادارية وعين الولاة والقضـاة والأمراء وعقد المعاهدات وأرسل السفراء الى الملوك فى الخارج واستقبل الوفود التى جاءت اليه(١٦) .

ولم ينتقل الرسول ﷺ الى الرفيـق الأعلى الا بعد أن أدى الأمانة

---

(١٤) انظر : النظام السياسى فى الاسلام للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ص ١٣١

(١٥) انظر نص الصحيفة أو الكتاب فى السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ١٠٦ ـ ١٠٨

(١٦) انظر النظام السياسى فى الاسلام للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ص ١٤٠ ـ ١٤٣

وبلغ الدعوة واقام الدولة واكتمل الدين قال تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** »(١٧) ٠

* * *

٤ ـ خلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدولة :

فقد كان الرسول ﷺ فى حياته يقوم بأمر السلطة السياسية للدولة الاسلامية فى المدينة ٠ ومن الثابت تاريخيا انه لم يعين للمسلمين من يقوم بأمر الدولة الاسلامية بعد وفاته وانما أوضح القواعد العامة التى يجب أن يراعيها الحاكم فى سيرته فى المسلمين ، وبين المثل العليا التى يجب التمسك بها والحفاظ عليها من جانب الحاكم والمحكومين على السواء(١٨) ٠

ولما انتقل الرسول ﷺ الى الرفيق الأعلى سارع المسلمون الى عقد الاجتماع فى سقيفة بنى ساعدة ٠ وهذا الاجتماع يشبه الى حد كبير جمعية تأسيسية تبحث فى مصير أمة لأجيال عديدة لاحقة وتضع لها دستورا يكون اساسا لحياتها فى المستقبل ٠ وان أكبر نتيجة لهذا الاجتماع انه على أساسه قام نظام الخلافة(١٩) ٠

فقد اجمع المسلمون على ضرورة وجود النظام السياسى الاسلامى وكان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قد اجمعوا على وجوب استمرار مسيرة الدولة الاسلامية التى أسسها الرسول ﷺ بالاشتراك معهم منذ قدومه الى المدينة عقب الهجرة(٢٠) ، فبادروا باختيار خلف له وبايعوا ابا بكر الصديق الخليفة الأول ويطلق عليه خليفة رسول الله اشارة الى اتباع هديه وسنته والاقتداء بسياسته فى تنظيم شئون الدولة ٠

---

(١٧) المائدة : ٣

(١٨) فى النظام السياسى للدولة الاسلامية للدكتور محمد سليم العوا المكتب المصرى الحديث الطبعة الثالثة ، ١٩٧٩ م ، ص ٦٥

(١٩) النظريات السياسية الاسلامية للدكتور محمد ضياء الدين الريس ، دار التراث القاهرة ، طبعة سادسة ، ١٩٧٦ م ، ص ٣٨

(٢٠) انظر المصدر السابق ص ١٧٤

وتعرف الخلافة الاسلامية فى الفقه الاسلامى والعلوم الشرعية بأنها نيابة عن النبوة فى اقامة الدين وحراسته من البدعة والردة وسياسة الدولة بمبادىء الدين واصوله واحكامه . وكان نظام الخلافة الاسلامية يقوم على اسس واضحة أهمها الالتزام بالدستور الاسلامى المستمد من الكتاب والسنة والعمل بما اتفقت عليه الشورى فى أمور الأمة ومصالحها . والطاعة للامام وأمرائه فى غير معصية الله ورسوله ، والحكم بالعدل والحرية فى الاعتقاد .

وقد استمر نظام الخلافة كما هو معروف من التاريخ الاسلامى على مرور الزمن . وفى ظل الخلافة الاسلامية كان الولاء الأساسى لدين الاسلام وسياسته وللامام الذى اكتسبت شرعيته ببيعة أهل الحل والعقد من العلماء الصالحين والوجهاء الاتقياء والقادة والزعماء الذين يهتمون بشئون الأمة وما يصلحهم فتابعت جماهير الأمة بالموافقة والولاء والرضا . وفى ظلها كان الثوار يسعون الى تغيير الخلفاء والوزراء والولاة فحسب ، ولكنهم لم يسعوا الى تغيير أساس الولاء لدين الاسلام ودولته ووحدة هويته(٢١) . ولذلك استقر النظام السياسى فى ظل الخلافة الاسلامية لقرون عديدة فى العالم .

* * *

٥ ـ سيطرة الأنظمة العلمانية الجاهلية على العالم المعاصر :

لقد كانت الخلافة العثمانية آخر رمز لنظام الخلافة الاسلامية فى العالم . وانتهت الخلافة الاسلامية بعد أن أعلن مصطفى كمال اتاتورك بالغائها عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) واقام فى تركيا دولة علمانية جاهلية ترفض الاهتداء بحكم الله عز وجل وتعطى الولاء للأنظمة الوضعية .

ولما سقطت الخلافة الاسلامية ازدادت الدعوات العلمانية والقومية الجاهلية نشاطا وانتشارا . وقامت فى العالم الاسلامى أنظمة علمانية

---

(٢١) انظر : لماذا اغتيل الامام الشهيد حسن البنا للأستاذ عبد المتعال الجبرى دار الاعتصام الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) ص ١١ ـ ١٢

جاهلية « حتى أصبح الحكم بغير ما أنزل الله هو السمة الأصلية فى كل نظام حكم موجود فى العالم الاسلامى تقريبا »(٢٢) ٠

ان العالم كله يعيش اليوم فى جاهلية من ناحية الأصل الذى تنبثق منه مقومات الحياة وأنظمتها ٠ هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله فى الأرض وعلى أخص خصائص الألوهية وهى الحاكمية ٠ انها تسند الحاكمية الى البشر فتجعل بعضهم لبعض أربابا ٠ لا فى الصورة البدائية الساذجة التى عرفتها الجاهلية الأولى ولكن فى صورة ادعاء حق وضع التصورات والقيم والشرائع والقوانين والأنظمة والأوضاع بمعزل عن منهج الله للحياة وفيما لم يأذن به الله(٢٣) ٠

* * *

٦ ـ الحركة الاسلامية لاحياء الخلافة على منهاج النبوة :

ويشاء الله سبحانه وتعالى ألا تطول فترة تقاعس المسلمين عن حمل الأمانة وتبليغ الدعوة وسياسة الدولة وقيادة العالم ٠ فقام رجال آمنوا بالله ربا وبالاسلام دينا ونظاما للحياة وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا واماما وقائدا ورئيسا وزعيما ٠ وقد استوعبوا الاسلام كما أنزل على قلب محمد ﷺ ، فهموه فهما متكاملا يشمل كل مظاهر الحياة ، وانتظم المسلمون فى جماعة اسلامية تتحرك لتجديد دين الأمة لربها سبحانه وتعالى بالايمان والتقوى والصلاة والصيام والحج والجهاد ، والدعوة والتربية والحكم والقضاء والسياسة والاقتصاد(٢٤) ٠ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال : « ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس

---

(٢٢) جند الله ثقافة وأخلاقا للأستاذ سعيد حوى دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ ص ٦

(٢٣) معالم فى الطريق للأستاذ الشهيد سيد قطب ، دار الشروق القاهرة وبيروت ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) ص ١٠

(٢٤) انظر : النظام السياسى فى الاسلام للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ص ١٠ ٠

كل مائة سنة من يجدد لها دينها »(٢٥) (رواه أبو داوود) ٠

ان الحركة الاسلامية اليوم تقوم على اساس تجديد الولاء لدين الاسلام قال تعالى : « **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** »(٢٦) وتسعى لتحقيق أهداف الاسلام الكبرى فى بناء الفرد المسلم والأسرة المسلمة وتكوين المجتمع الاسلامى الذى يحمل الاسلام دعوة وجهادا وسلوكا وحياة ، والسعى لاقامة الخلافة الاسلامية على منهاج النبوة ٠

* * *

٧ ـ البيعة للعمل الجماعى وللجهاد فى سبيل الله :

اذا كانت الخلافة الاسلامية مفقودة والوحدة الاسلامية غير قائمة والأحكام الاسلامية غير مطبقة ٠ فما على المسلمين فى كل مكان الا ان ينظموا انفسهم فى جماعة ويبايعوا للعمل الاسلامى الجماعى ٠ لقد كان الصحابة رضوان الله عنهم « كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة »(٢٧) وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لا اسلام الا بجماعة ولا جماعة الا بامارة ولا امارة الا بطاعة »(٢٨) ٠

وكان من البديهيات ان لزوم جماعة المسلمين وامامهم هو احد الفروض العظمى فى الاسلام(٢٩) ، وان اقامة الخلافة على منهاج

---

(٢٥) سنن أبى داوود مطبعة مصطفى البابى بمصر الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ (١٩٥٢ م)جـ ٢ ص ٤٢٤ ورواه أيضا الطبرانى فى كتاب المعجم الأوسط ورواه الحاكم فى المستدرك ورواه البيهقى فى كتاب المعرفة وصححه الحاكم والبيهقى ٠

(٢٦) المائدة : ٥٥

(٢٧) تاريخ الطبرى طبعة دار المعارف جـ ٣ ص ٢٠٧

(٢٨) الطريق الى جماعة المسلمين للأستاذ حسين بن محسن ، دار الدعوة الكويت الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٥

(٢٩) من اجل خطوة الى الأمام على طريق الجهاد المبارك للأستاذ سعيد حوى ، مكتبة وهبة القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٢٢

النبوة وتنصيب امام لها واجب على الأمة ، ولا يحل لها أن تتوانى عن تحقيق هذا الواجب فى حياتها · قال رسول الله ﷺ : « من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »(٣٠) فيجب على كل مسلم ان يبايع الامام والا فقد اثم ومات على ما يموت عليه اهل الجاهلية من عدم وجود أمير او رئيس له ، ولا يرفع عن المسلمين هذا الاثم الا العمل بكل ما فى وسعهم لايجاد امام المسلمين او أمير المؤمنين ومبايعته(٣١) ·

وهكذا كانت البيعة فى عهد النبوة والخلافة الراشدة لها علاقة مباشرة بنشأة الدولة الاسلامية واستمراريتها واستمر تطبيقها على مرور الزمن مع وجود نظام الخلافة الاسلامية · فقد كانت البيعة تلعب دورا مهما فى المحافظة على بقاء نظام الخلافة كنظام شرعى وحيد للنظام السياسى الاسلامى · وفى حياتنا المعاصرة بعد سقوط الخلافة لا تزال البيعة تلعب دورا ايجابيا فى عملية احياء الخلافة من جديد ·

* * *

(٣٠) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى دار احياء الكتب العربية مطبعة عيسى البابى الحلبى الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) جـ ٣ ص ١٤٧٨

(٣١) انظر النظام السياسى فى الاسلام للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ص ١٥٦